

الموالد والتصوف في مصر

تأليف: نيكولاس بيخمان
ترجمة وتقديم: رءوف مسعد



تأملات في واقع الصلاة والموالد!

أسامة شحادة - الأردن

ذات صوت رنان أمام تجمع كبير من الرجال، ويقابلها مغنيات غير محجبات لكنهن يغنين في المولد أو الموالد! ويرافق هذا كله بعض الشخصيات هنا أو هناك ممن يرتدون ثياباً عجيبة غريبة لتعرف وتشتهر، أو تخرج أصوات وصيحات نشاز لكي تلفت الأنظار. وبعد طول تأمل في واقع هذه الموالد، تساءلت في نفسي: هل هذه الموالد بهذه الوضعية التي يقوم بها كثير من الطرق الصوفية ويشاهدها القاصي والداني من المرجعيات العلمية الداعمة للتصوف أو من عموم البشر، هل هذه الموالد مما يجذب الناس للإسلام ويحببهم به؟ مثلاً؛ سمعنا أن كثيراً من غير المسلمين دخلوا الإسلام بسبب أنهم شاهدوا مسلماً أو مسلمة يصليان في مكان ما، أو دخلوا مسجداً، أو بسبب حسن تعامل زميل في الدراسة أو العمل أو السكن، سمعنا عمن أسلم بسبب مشاهدته حرص المسلمين على النظافة مثلاً. لكن هل هناك من أسلم بسبب رؤيته ومشاهدته لمثل هذا «الحب» للنبي ﷺ؟

ضجّت وسائط التواصل الاجتماعي بمقاطع مختلفة لفعاليات الموالد النبوية من مختلف البلدان، وذلك بفعل الخوارزميات التي تخرج لك المشابه لما شاهدته، وأيضاً بفعل حملات إعلامية منظمة تهدف - غالباً - لخلق انطباع عام مضلل عن ترسخ الموالد في واقع أمة الإسلام. ومما لفت نظري تنافس منظمي هذه الحفلات في ابتكار طرق وأشكال وحركات وتصرفات عجيبة غريبة تكاد تصل لدرجة الترنّد!

فمنهم من يقفز في الهواء بشكل جماعي أو فردي منظم وغير منظم، أو يتمايل للأمام والخلف قياماً أو قعوداً، ويلوّحون برؤوسهم وشعورهم الطويلة كالنساء! إلى من يستخدمون الآلات الموسيقية من دف أو طبل أو مزمار فضلاً عن إحضار فرقة موسيقية كاملة! وبعض حفلاتهم يختلط فيها الرجال بالنساء، وأحياناً تغني شابة محجة



ثم استرسلت في تأملي: هل تشبه هذه التصرفات طبيعة الإسلام وعباداته، التي تتصف بالسكون والنظافة والوقار؟ وتذكرت حديث المصطفى ﷺ، الذي رواه جابر بن سمرة، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ما لي أراكم رافعي أيديكم كأنها أذناب خيل شمس؟ اسكنوا في الصلاة» قال: ثم خرج علينا فرأنا حلقا فقال: «مالي أراكم عزين» قال: ثم خرج علينا فقال: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟» فقلنا يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتّمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف»^(١).

فلاحظ إنكار النبي ﷺ رفع الأيدي في الصلاة، والأمر بالسكون، والنظام في الصفوف، وقارن هذا بالفوضى المؤذية للعيون في الموالد النبوية المزعومة، والأصوات الصاخبة المزعجة فيها، ورفع الأيدي والعصي وغيرها، واختلاط الرجال بالنساء، في مناقضة تامة لهدي النبي ﷺ ولطريقة الإسلام في التعبد والسلوك!

بل إن أقرب وصف لحال الموالد هو ما جاء في كتاب الله عز وجل عن وصف عبادة المشركين في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءٌ وَتَصْدِيَةٌ﴾ [الأنفال: ٣٥]. أي صفير وتصفيق! أما ما تشاهده في بعض الموالد من حركات دائرية وسريعة أو تمايل لليمين واليسار فلا يشبه شيئاً مما ورد عن النبي المختار ﷺ، بل هو أشبه بما نشاهده في الأفلام الوثائقية عن طقوس الوثنيين في أفريقيا وآسيا. إن كل العقلاء والعلماء الصادقين يتفقون على ركنية محبة النبي ﷺ وأن إسلام المرء لا يصح إلا بالتسليم لأمره ﷺ والإيمان بكل ما جاء به من الدين، وأن ذلك يتحقق بطاعته ﷺ، وأن هذه الموالد المنتشرة اليوم ليست دليل محبة ولا تعظيم له ﷺ لوحدها إذا خلت من المنكرات والفواحش والبدع والشرك، فكيف إذا وجدت فيها؟

ولذلك؛ المسلم الصادق في إيمانه وحبه للنبي ﷺ هو الذي يتعرف على سيرته وسنته، ثم يطبقها، ويتعد عن كل ما نهى عنه النبي ﷺ وزجر، ويقدم في ذلك أركان الإيمان ثم أركان الإسلام، ويجتهد في النوافل والطاعات حتى يبلغ مرتبة الإحسان ويفتح الله عز وجل عليه من البركات، فلنشمر عن ساعد الجد والوقت، حتى نرافقه ﷺ في جنات النعيم.